

الرد الجميل

على اخطاء ابن عقيل

((تأليف))

☆ الفقير الى الله تعالى ☆

حمود بن عبد الله التويجري

غفر الله له ولوالديه

الطبعة الاولى عام ١٣٩٢ هـ

مؤسسة النور للطباعة والتجليد - الرياض

شارع الامام احمد بن حنبل ☎ ٢٩٤٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والعاقبة للمتقين. ولا عدوان الا على الظالمين. واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله . صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد فقد رأيت في عدد ١٨٦٤ من جريدة الرياض الصادر في يوم الاربعاء ١٤ جمادى الاولى سنة ١٣٩١ ﻫ مقالا لبعض المتعصبين لابن حزم الظاهري - وهو المكني نفسه اباعبد الرحمن ابن عقيل - زعم فيه انه لا يعرف من قدح في دين ابي محمد وعدالته سوى اثنين من المتأخرين احدهما يدعى مولوي فضل رسول البدايوني. وثانيهما احد المعاصرين - يعني صاحب هذا الرد - فقد جرح ابن حزم في كتابه «فصل الخطاب في الرد على ابي تراب» ثم ذكر المتعصب جملة مما في فصل الخطاب واشار الى البقية .

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال لو كان عند هذا المتعصب لابن حزم ادنى شيء من العدل والانصاف

١٦٦٦٤١٦

لما تعامى عن ذكر القادحين في ابي محمد من أهل عصره فمن بعدهم فقد ذكر مؤرخ الاندلس ابو مروان ابن حيان ان الفقهاء في عصر ابن حزم تمالئوا عليه واجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا أكابرهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الاقتراب منه فطفق الملوك يقصونه ويسيرونه عن بلادهم الى ان انتهوا به منقطع اثره. ثم ذكر ان بعض كتبه احرقت باشبيلية ومزقت علانية. قال: ولم يكن مع ذلك سالما من اضطراب رأيه انتهى المقصود من كلامه ملخصا. وقدنقله عنه الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ وفي سير اعلام النبلاء ونقله ياقوت الحموي في معجم الادباء. ونقله الحافظ ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان.

وقال: القاضي ابو بكر ابن العربي ابتدأ ابن حزم اولا فتعلق بمذهب الشافعي ثم انتسب الى داود ثم خلع الكل واستقل بنفسه وزعم انه امام الائمة يضع ويرفع ويحكم ويشرع ينسب الى دين الله ماليس منه ويقول عن العلماء مالم يقولوا تنفيرا للقلوب عنهم، وخرج عن طريق المشبهة في ذات الله تعالى وصفاته فجاء فيه بطوام واتفق كونه بين اقوام لابصر

لهم الا بالمسائل فاذا طالبهم بالدليل كاعوا فيتضاحك مع اصحابه منهم. وذكر بقية الحط عليه في كتاب القواصم والعواصم وقدنقله عنه الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ وفي سير اعلام النبلاء، ونقله الحافظ ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان قال الحافظ ابن حجر ومما يعاب به ابن حزم وقوعه في الائمة الكبار بأقبح عبارة واشنع رد، وقال ابو العباس ابن العريف الصالح الزاهد لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان انتهى. وقد ذكر الحافظ الذهبي قول ابي العباس ابن العريف في تذكرة الحفاظ وفي سير اعلام النبلاء.

وقال ابن خلكان في وفيات الاعيان كان - يعني ابن حزم - كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يسلم احد من لسانه فنفرت عنه القلوب واستهدف لفقهاء وقته فتمالئوا على بغضه وردوا قوله واجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو اليه والاخذ عنه فأقصته الملوك وشردته عن بلاده حتى انتهى الى بادية لبلة فتوفي بها وفيه قال ابو العباس ابن العريف كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج ابن يوسف الثقفي شقيقين وانما قال ذلك لكثرة

وقوعه في الائمة انتهى .

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية كان ابن حزم كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلمه فأورثه ذلك حقداً في قلوب أهل زمانه ومازالوا بـــه حتى بغضوه الى ملوكهم فطردوه عن بلاده، والعجب كل العجب منه انه كان ظاهريا حائرا في الفروع لايقول بشيء من القياس لا الجلي ولاغيره وهذا الذي وضعه عند العلماء وادخل عليه خطـأ كبيرا في نظره وتصرفه وكان مع هذا من اشد الناس تأويلا في باب الاصول وآيات الصفات واحاديث الصفات لانه كان اولا قد تضلع من علم المنطق ففسد بذلك حاله في باب الصفات. قال ابن كثير رحمه الله تعالى ورأيت في ليلة الاثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ثلاث وستين وسبعمائة الشيخ محي الدين النواوي رحمه الله فقلت له ياسيدي الشيخ لم لا ادخلت في شرحك المهذب شيئا من مصنفات ابن حزم فقال مامعناه انه لا يحبه فقلت له انت معذور فيه فانه جمع بين طرفي النقيضين في اصوله وفروعه، أما هو في الفروع فظاهري جامد يابس وفي الاصول تول مائع قرمطة القرامطة وهرس الهرائسة

ورفعت بها صوتي حتى سمعت وانا نائم، ثم اشرت له الى ارض خضراء تشبه النخيل، بل هي اردأ شكلا منه لا ينتفع بها في استغلال ولا رعي فقلت له هذه ارض ابن حزم التي زرعها قال انظر هل ترى فيها شجرا مثمرا او شيئا ينتفع به فقلت انما تصلح للجلوس عليها في ضوء القمر، فهذا حاصل ما رايته ووقع في خلدي ان ابن حزم كان حاضرنا عندما اشرت للشيخ محي الدين الى الارض المنسوبة لابن حزم وهو ساكت لايتكلم انتهى

فهذه اقوال العلماء في ابن حزم وهذا اجماع فقهاء عصره على تضليله والتشنيع عليه، فهل يقول المتعصب له ان هذه الاقوال من المدح له وليست بقدح في دينه وعدالته، وهل يقول بعد هذا انه لم يقدح فيه سوى اثنين من المتأخرين .

اللهم انا نعوذ بك من غلبة الهوى ومن عمى البصيرة .

فإن قال المتعصب انه لم يطلع على هذه الاقوال،

فالجواب ان يقال هذا بعيد جداً لان هذه الاقوال سوى قول ابن خلكان قد ذكرت في فصل الخطاب في اول الوجه الذي نقل منه المتعصب ما نقل من الكلام في ابن حزم، فما باله يتحامل على المعاصر ويتعامى عن المتقدمين .

الوجه الثاني ان ابن حزم صرح في كتابه طوق الحمامة بما يلزم منه القدح فيه وذلك في قصتين احداهما ذكر انه عشق جارية نشأت في دارهم لبعض من في دارهم من النساء وانه سعى عامين اونحوهما بابلغ السعي ان تجيبه بكلمة غير مايقع في الحديث الظاهر الى كل سامع وانه ماوصل من ذلك الى شيء وانه كان يتعرض مرة للدنو منها فتنفر منه وتبعد عن قربه وانه حضر غناءها وضربها بالعود، قال فلعمري لكأن المضراب انما يقع على قلبي ومانسيت ذلك ولاانساه الى يوم مفارقتي للدنيا، قال وهذا اكثر ما وصلت اليه من التمكن من رؤيتها وسماع كلامها وفي ذلك اقول :ـ

لا تلمها على النفار ومنع الوصـل ما هذا لها بنكير.

ثم ذكر انه كانت عندهم جنازة وانه رأى تلك الفتاة التي عشقها وقد ارتفعت الواعية ـ يعني اصوات النوائح ـ قائمة في المأتم وسط النساء في جملة البواكي والنوادب وانها جددت احزانه، ثم ذكر انه خرج من قرطبة وانه رجع اليها سنة تسع واربعمائة فراى تلك الفتاة وقدتغيرت محاسنها ـ وذكر كلاماً قال في آخره ـ واني لو نلت منها اقل وصل لخولطت طربا

او لمت فرحا ولكن هذا النفار الذي صبرني واسلاني .

قلت وفي هذا الكلام عدة امور كل واحد منها يكفي للقدح في العدالة، منها تعرضه للدنو من المراة الاجنبية وطلب الوصال منها، ومنها استماعه لغنائها وضربها بالعود وهذا مما يقدح في العدالة عند اكثر العلماء . قال ابو الطيب الطبري وأما سماعه من المراة التي ليست بمحرم له فان اصحاب الشافعي قالوا لايجوز بحال ـ سواء كانت مكشوفة او من وراء حجاب وسواء كانت حرة او مملوكة. وقال ابن عقيل وغيره من اكابر الحنابلة ان كان المغني امرأة اجنبية فانه يحرم الاستماع اليها بلا خلاف بين الحنابلة . وقد صرح ابن حزم في كتابه طوق الحمامة بانه يحرم على المسلم الالتذاذ بسماع نغمة المرأة الاجنبية كما سيأتي ذكره قريباً ان شاء الله تعالى .

ومنها اطلاق بصره في النظر الى المراة الاجنبية وذلك حرام قال النووي رحمه الله تعالى واما نظر الرجل الى المراة فحرام في كل شيء من بدنها فكذلك يحرم عليها النظر الى كل شيء من بدنه سواء كان نظره ونظرها بشهوة ام بغيرها ولا فرق ايضا بين الامة والحرة اذا كانتا اجنبيتين انتهى .

وقال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى ويحرم النظر بشهوة الى النساء والمردان ومن استحله كفر اجماعا ويحرم النظر مع خوف ثوران الشهوة وهو منصوص عن الامام احمد والشافعي. قال وكل قسم متى كان معه شهوة كان حراما بلا ريب سواء كانت شهوة تمتع بنظر او نظر لشهوة الوطء انتهى

والادلة على وجوب غض البصر عن المراة الاجنبية وتحريم النظر اليها كثيرة معروفة في الكتاب والسنة .

وفي هذه القصة ايضا حضوره عند النياحة واقراره لها وهذا مما يقدح في العدالة. وقد روى ابو داود في سننه والبخاري في التاريخ الكبير عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة .

القصة الثانية قال ابن حزم ولقد ضمني المبيت ليلة في بعض الازمان عند امراة من بعض معارفي مشهورة بالصلاح والخير والحزم ومعها جارية من بعض قراباتها من اللاتي قد ضمتها معي النشأة في الصبا ثم غبت عنها اعواما كثيرة وكنت تركتها حين اعصرت ووجدتها قد جرى على وجهها ماء الشباب ففاض وانساب، وتفجرت عليها ينابيع الملاحة

فترددت وتحيرت . وطلعت في سماء وجهها نجوم الحسن فاشرقت وتوقدت . وانبعث في خديها ازاهير الجمال فتمت واعتمت ـ الى ان قال ـ فبت ثلاث ليال ولم تحجب عني على جاري العادة في التربية فلعمري لقد كاد قلبي ان يصبو ويثوب اليه مرفوض الهوى ويعاوده منسي الغزل ولقد امتنعت بعد ذلك من دخول تلك الدار خوفا على لبي ان يزدهيه الاستحسان انتهى .

وسياقه لهذه القصة قادح في عدالته لكونه قد اطلق بصره في النظر الى محاسن المراة الاجنبية بل انه قد نعتها نعت من غلغل النظر اليها .

واذا علم ماصرح به ابن حزم عن نفسه في هاتين القصتين فليعلم ايضا انه قال بعد القصة الاولى بست ورقات وبعد القصة الثانية بورقة مانصه (والصالح من الرجال من لايداخل اهل الفسوق ولايتعرض الى المناظر الجالبة للاهواء ولايرفع طرفه الى الصور البديعة التركيب، والفاسق من يعاشر اهل النقص وينشر بصره الى الوجوه البديعة الصنعة ـ الى ان قال ـ ولهذا حرم على المسلم الالتذاذ بسماع نغمة امراة اجنبية وقد

جعلت النظرة الاولى لك والاخرى عليك انتهى .

واذا جمعنا بين ما ذكره ابن حزم عن نفسه في القصتين وبين تعريفه للصالح والفاسق تبين لنا انه من جملة من قدح في عدالة نفسه ، وحينئذ فينبغي للمتعصب له ان يبدأ به في ذكر القادحين فيه ولا يتبع الهوى فيضله عن سبيل الله

وههنا قصة ثالثة ذكرها المقري عن ابن حزم انه قال في طوق الحمامة انه مر يوما هو وابو عمر بن عبد البر بسكة الحطابين بمدينة اشبيلية فلقيهما شاب حسن الوجه فقال ابن حزم هذه صورة حسنة فقال ابو عمر لم نر الا الوجه فلعل ماسترته الثياب ليس كذلك فقال ابن حزم ارتجالا

وذي عذل فيمن سباني حسنه   يطيل ملامي في الهوى ويقول
أمن اجل وجه لاح لم تر غيره   ولم تدر كيف الجسم انت عليل
فقلت له اسرفت في اللوم فاتئد   فعندي رد لو اشاء طويل
الم تر اني ظاهري وانني   على مابدا حتى يقوم دليل

وهذه القصة ليست في النسخة المطبوعة فلعلها سقطت من بعض النساخ، وقد ذكرها الحافظ الذهبي في سير اعلام النبلاء. ونقل ياقوت الحموي في معجم الادباء عن صاحب المطمح انه

اورد لابن حزم أشعارا منها هذه الابيات ولم يذكر ماجرى بينه وبين ابن عبد البر من الكلام في الشاب الحسن الوجه فلعل صاحب المطمح حذف ذلك واقتصر على ذكر الابيات والله اعلم، وقد ذكر الابيات ايضا ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان

وسياق هذه القصة مما يقدح في عدالة ابن حزم لكونه اطلق بصره في النظر الى الامرد الحسن ثم اتبع ذلك بالتشبيب به، وكلاهما حرام وقد ذكر الحافظ ابو الفرج ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب انه قال اذا رايتم الرجل يلح النظر الى غلام امرد فاتهموه .

قال النووي رحمه الله تعالى يحرم على الرجل النظر الى وجه الامرد اذا كان حسن الصورة سواء كان نظره بشهوة ام لا وسواء أمن الفتنة ام خافها ، هذا هو المذهب الصحيح المختار عند العلماء المحققين نص عليه الشافعي وحذاق اصحابه ودليله انه في معنى المرأة فانه يشتهى كما تشتهى وصورته في الجمال كصورة المرأة بل ربما كان كثير منهم احسن صورة من كثير من النساء بل هم في التحريم اولى لمعنى آخر وهو انه يتمكن في حقهم من طرق الشر مالايتمكن من مثله في

حق المرأة انتهى .

وقال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى ويحرم النظر بشهوة الى النساء والمردان ومن استحله كفر اجماعا ويحرم النظر مع خوف ثوران الشهوة وهو منصوص عن الامام احمد والشافعي ومن كرر النظر الى الامرد ونحوه وقال لا انظر بشهوة كذب في دعواه وقاله ابن عقيل، وكل قسم متى كان معه شهوة كان حراما بلا ريب سواء كانت شهوة تمتع بنظر او نظر لشهوة الوطء، واللمس كالنظر واولى

وقال الشيخ ايضا في موضع آخر النظر الى وجه الامرد بشهوة كالنظر الى وجه ذوات المحارم والمرأة الاجنبية بالشهوة سواء كانت الشهوة شهوة الوطء او كانت شهوة التلذذ بالنظر كما يتلذذ بالنظر الى وجه المرأة الاجنبية، واذا كان معلوما لكل احد ان هذا حرام فكذلك النظر الى وجه الامرد باتفاق الائمة

وذكر الشيخ ايضا ان العلماء اتفقوا على تحريم النظر الى الاجنبية وذوات المحارم بشهوة انتهى .

ومما يقدح في ابن حزم ايضا قوله في كتابه طوق الحمامة

فقلت ان التي قلبي بها علق   قبلتها قبلة يوما على خطر

فما اعد ولو طالت سني سوى   تلك السويعة بالتحقيق من عمري

وهذا ظاهر في ان التي قبلها كانت اجنبية ولهذا قال على خطر ولو كانت حلالا له لما كان عليه خطر من تقبيلها .

ومما يقدح في ابن حزم ايضا قوله في كتابه طوق الحمامة

خلوت بها والراح ثالثة لها   وجنح ظلام الليل قد مد ما انبلج

فتاة عدمت العيش الا بقربها

فهل في ابتغاء العيش ويحك من حرج

كأني وهي والكاس والخمر والدجا

ثرى وحيا والدر والتبر والسبج

واذا حملنا الخلو بها على احسن المحامل بان تكون زوجة له او سرية فالراح لا يدخلها الاحتمال وهو فيها بين امرين لا ثالث لهما إما انه شربها او انه كذب فيما قال وهذا الاخير هو المظنون به لقول الله تعالى (وانهم يقولون مالا يفعلون) وكل من الامرين قادح في العدالة لا محالة .

واذا كان المتعصب لابن حزم غضبانا مما ذكر في فصل الخطاب من الكلام في امامه ابن حزم فليغضب على امامه لانه هو الذي اشاع عن نفسه بما ذكرناه عنه ثم عرف الصالح بما يخالف افعاله التي ذكرها عن نفسه وعرف الفاسق بما يوافق افعاله فهو الذي قدح في نفسه على الحقيقة، ومن لام رجلا قدح في رجل بكلامه الذي اشاع

به عن نفسه واثبته في كتابه فالاثم هو المعتدي والملوم على الحقيقة وليغضب المتعصب ايضا على الذين اجمعوا على تضليل امامه من معاصريه وعلى من بعدهم من اكابر العلماء الذين تكلموا فيه ونقلوا مساوي افعاله .

الوجه الثالث ان يقال اذا لم يكن المتعصب لابن حزم قانعا بما ذكرنا في فصل الخطاب فانا نزيده ماهو اشد من ذلك وهو ماقاله المقري في نفح الطيب حينما ذكر ابن حزم فقال هو نسيج وحده لولا ماوصف به من سوء الاعتقاد والوقوع في السلف الذي اثار عليه الانتقاد سامحه الله تعالى .

قلت والنعت بسوء الاعتقاد اعظم في القدح مما نقلته في فصل الخطاب من طوق الحمامة .

ومن سوء اعتقاده تأويله لآيات الصفات واحاديث الصفات كما تقدم فيما ذكره ابن كثير عنه، وهذا خلاف ما كان عليه السلف الصالح رحمة الله عليهم فانهم كانوا يمرون آيات الصفات واحاديث الصفات ويامرون بامرارها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

ومن سوء اعتقاده ايضا كلامه السيء في القرآن فقد قال

في كتابه (الفصل في الملل والاهواء والنحل) ما ملخصه ثم نقول ان قولنا القرآن وقولنا كلام الله لفظ مشترك يعبر به عن خمسة اشياء فنسمي الصوت المسموع الملفوظ به قرآنا ونقول انه كلام الله تعالى على الحقيقة ، ويسمى المفهوم من ذلك الصوت قرآنا وكلام الله على الحقيقة، ويسمى المصحف كله قرآنا وكلام الله، ونسمي المستقر في الصدور قرآنا ونقول انه كلام الله تعالى، ونقول ايضا ان القرآن هو كلام الله تعالى وهو علمه — الى ان قال — فهذه خمسة معان يعبر عن كل معنى منها بانه قرآن وانه كلام الله ويخبر عن كل واحد منها اخبارا صحيحا بانه القرآن وانه كلام الله بنص القرآن والسنة ، ثم قال ان اسم القرآن يقع على خمسة اشياء وقوعا مستويا صحيحا منها اربعة مخلوقة وواحد غير مخلوق انتهى المقصود من كلامه، وزعمه ان المحفوظ في الصدور من القرآن والمثبت في المصاحف منه والمسموع من تلاوة التالين والمفهوم من ذلك كله مخلوق هو من اقوال الجهمية .

وقد قال ابو داود في كتاب المسائل كتبت رقعة وارسلت بها الى ابي عبدالله وهو يومئذ متوار فاخرج الي جوابه مكتوبا

فيه، قلت رجل يقول التلاوة مخلوقة والفاظنا بالقرآن مخلوقة والقرآن ليس بمخلوق ماترى في مجانبته وهل يسمى مبتدعا وعلى مايكون عقد القلب في التلاوة والالفاظ وكيف الجواب فيه، قال هذا يجانب وهو فوق المبتدع وما اراه الاجهميا وهذا كلام الجهمية، القرآن ليس بمخلوق قالت عائشة رضي الله عنها تلى رسول الله ﷺ (هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) الآية، قالت فقال رسول الله ﷺ (اذا رايتم الذين يتبعون ماتشابه منه فاحذروهم فانهم هم الذين عنى الله) فالقرآن ليس بمخلوق انتهى ورواه عبد الله بن الامام احمد في كتاب السنة عن ابيه بنحوه

وقال الامام ابو جعفر ابن جرير الطبري في عقيدته اول مانبدأ بالقول فيه عندنا القرآن انه كلام الله وتنزيله اذ كان من معاني توحيده فالصواب من القول في ذلك عندنا انه كلام الله غير مخلوق كيف كتب وحيث تلي وفي اي موضع قرىء في السماء وجد وفي الارض حفظ في اللوح المحفوظ او في القلب وباللسان لفظ فمن قال غير ذلك او ادعى ان قرآنا في الارض او في السماء سوى القرآن الذي نتلوه بالسنتنا ونكتبه في

مصاحفنا او اعتقد ذلك بقلبه او اضمره في نفسه او قاله بلسانه دائنا فهو بالله كافر حلال الدم والمال بريء من الله والله منه بريء يقول الله تعالى (بل هو قرآن مجيد ، في لوح محفوظ) وقال تعالى (وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) فاخبر انه في اللوح محفوظ مكتوب وانه من لسان محمد مسموع وكذلك هو في الصدور محفوظ وبالسن الشيوخ والشبان متلو – الى ان قال – واما القول في الفاظ العباد بالقرآن فلا اثر فيه نعلمه عن صحابي مضى ولا عن تابعي قفى الا عمن في قوله الغناء والشفاء وفي اتباعه الرشد والهدى ومن يقوم قوله مقام قول الائمة الألى الامام المرتضى احمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه وارضاه، قال ابو جعفر اخبرنا اسماعيل الترمذي قال سمعت ابا عبدالله احمد يقول اللفظية جهمية يقول الله (حتى يسمع كلام الله) فممن يسمع. ثم سمعت جماعة من اصحابنا لا احفظ اسماءهم يذكرون عنه – يعني الامام احمد بن حنبل – انه كان يقول من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع. ولا قول في ذلك كله عندنا يجوز ان نقوله غير قوله اذ لم يكن

لنا في ذلك امام نأتم به سواه وفيه الكفاية والمقنع وهو الامام المتبع اذ هو امام اهل السنة رحمة الله عليه ورضوانه انتهى

وما ذكره عن الامام احمد رحمه الله تعالى من الكلام في اللفظية قد رواه عنه ابو داود في كتاب المسائل مختصرا . ورواه عبد الله ابن الامام احمد في كتاب السنة عن ابيه بالفاظ كثيرة ، ونقله صاحب طبقات الحنابلة بالفاظ كثيرة من رواية احمد بن ابراهيم الدورقي واحمد بن شاذان الهمداني واسماعيل بن اسحاق النيسابوري السراج وبديل بن محمد بن اسد وابراهيم بن سعيد الجوهري وابي علي الحسين بن علي وشاهين بن السميدع العبدي ومحمد بن اسماعيل الترمذي ومحمد بن شداد الصغدي ومحمد بن يحيي بن منده الاصبهاني .

وقال ابراهيم الحربي كنت جالسا عند الامام احمد بن حنبل اذ جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله ان عندنا قوماً يقولون ان الفاظهم بالقرآن مخلوقة فقال ابو عبد الله يتوجه العبد لله تعالى بالقرآن بخمسة اوجه وهو فيها غير مخلوق حفظ بقلب وتلاوة بلسان وسمع باذن ونظرة ببصر وخط بيد فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق

والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق والنظر مخلوق والمنظور اليه غير مخلوق والكتابة مخلوقة والمكتوب غير مخلوق. قال ابراهيم فمات احمد فرأيته في النوم وعليه ثياب خضر وبيض وعلى رأسه تاج من الذهب مكلل بالجوهر وفي رجليه نعلان من ذهب فقلت له مافعل الله بك قال غفرلي وقربني وادناني فقال قد غفرت لك فقلت له يارب بماذا قال بقولك كلامي غير مخلوق . قال ابن القيم رحمه الله تعالى ففرق احمد بين فعل العبد وكسبه وماقام به فهو المخلوق وبين ماتعلق به كسبه وهو غير مخلوق. ومن لم يفرق هذا التفريق لم يستقر له قدم في الحق انتهى .

وقد قامت الادلة من الكتاب والسنة على الاوجه الخمسة التي نص عليها الامام احمد رحمه الله تعالى. فأما قوله حفظ بقلب فدليله قول الله تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم) وقوله تعالى (نزل به الروح الامين . على قلبك) وقوله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه) يعني في صدرك قاله ابن عباس رضي الله عنهما . ورواه عنه الامام احمد والبخاري ومسلم وغيرهم . وروى

الامام احمد ايضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (ان الرجل ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب)

واما قوله وتلاوة بلسان فدليله قول الله تعالى (فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين) الآية وقوله تعالى (لاتحرك به لسانك لتعجل به) وقوله تعالى (فاجره حتى يسمع كلام الله). وقد استدل الامام احمد بهذه الآية وبقول النبي ﷺ (ان قريشا منعوني ان ابلغ كلام ربي) على ان اللفظية من الجهمية. وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به) وقال تعالى (اتل ما اوحي اليك من الكتاب) وقال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب) وقال تعالى (لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك) الى غير ذلك من الآيات

وأما قوله وسمع بأذن فدليله قول الله تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) وقوله تعالى (وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) وهم انما يسمعونه بتلاوة الآدميين. وقال النبي ﷺ لابن مسعود رضي الله عنه (اقرأ علي من القرآن) قال فقلت يارسول الله اقرأ عليك وعليك انزل قال (اني احب ان اسمعه من غيري)

رواه الامام احمد والشيخان وابو داود والترمذي والنسائي

وأما قوله ونظرة ببصر فقد ورد في ذلك حديث في اسناده مقال وهو مارواه ابو عبيد القاسم بن سلام والطبراني وابو نعيم وغيرهم عن بعض اصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ انه قال (فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرأه ظهرا كفضل الفريضة على النافلة)

وأما قوله وخط بيد فدليله قول الله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) وقوله تعالى (والطور وكتاب مسطور، في رق منشور) وقوله تعالى (بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ) وقوله تعالى (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة، فيها كتب قيمة) وقوله تعالى (في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة) وقوله تعالى (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا إلا سحر مبين) وقوله تعالى (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً) الى غير ذلك من الآيات .

وأما قول ابن حزم ان اسم القرآن يقع على خمسة اشياء يعبر عن كل معنى منها بانه قرآن فهو قول باطل لم يسبقه اليه

احد. والحق ان الكل شيء واحد كما سيأتي بيانه في كلام ابن القيم رحمه الله تعالى .

ثم ان ابن حزم لم يفرق بين صوت القارىء وتلاوته للقرآن وبين المتلو المقروء فجعل الكل شيئا واحدا وزعم انه مخلوق . والحق التفريق بين فعل العبد الذي هو صوته وتلاوته وبين المتلو المقروء ففعل العبد مخلوق والمتلو المقروء غير مخلوق . وكذلك قد زعم ان المصحف كله قرآن وانه مخلوق . والحق ان الورق والمداد مخلوقان وان المكتوب المثبت في المصحف غير مخلوق. وقد تقدم بيان ذلك فيما نقله ابراهيم الحربي عن الامام احمد رحمه الله تعالى .

وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية

واتى ابن حزم بعد ذاك فقال ما   للناس قرآن ولا اثنان
بل اربع كل يسمى بالقرآ   ن وذاك قول بين البطلان
هذا الذي يتلى وآخر ثابت   في الرسم يدعى المصحف العثماني
والثالث المحفوظ بين صدورنا   هذي الثلاث خليقة الرحمن
والرابع المعنى القديم كعلمه   كل يعبر عنه بالقرآن
واظنه قد رام شيئا لم يجد   عنه عبارة ناطق ببيان

ان المعين ذو مراتب اربع   عقلت فلا تخفى على انسان
في العين ثم الذهن ثم اللفظ ثم   الرسم حين تخطه ببنان
وعلى الجميع الاسم يطلق لكن الأولى   به الموجود في الاعيان
بخلاف قول ابن الخطيب فانه   قد قال ان الوضع للاذهان
فالشيء شيء واحد لا اربع   فدهى ابن حزم قلة الفرقان
والله اخبر انه سبحانه   متكلم بالوحي والقرآن
وكذاك اخبرنا بان كلامه   بصدور اهل العلم والايمان
وكذاك اخبر انه المكتوب في   صحف مطهرة من الرحمن
وكذاك اخبر انه المتلو والـ   ـمقروء عند تلاوة الانسان
والكل شيء واحد لا انه   هو اربع وثلاثة واثنان
وتلاوة القرآن افعال لنا   وكذا الكتابة فهي خط بنان
لكنما المتلو والمكتوب والـ   ـمحفوظ قول الواحد الرحمن
والعبد يقرأه بصوت طيب   وبضده فهما له صوتان
وكذاك يكتبه بخط جيد   وبضده فهما له خطان
اصواتنا ومدادنا واداتنا   والرق ثم كتابة القرآن
ولقد اتى في نظمه من قال قو   ل الحق بالفرقان غير جبان
ان الذي هو في المصاحف مثبت   بأنامل الاشياخ والشبان

هو قول ربي آيه وحروفه   ومدادنا والرق مخلوقان

فشفى وفرق بين متلو ومصنوع   وذاك حقيقة العرفان

الكل مخلوق وليس كلامه   المتلو مخلوقا هما شيئان

فعليك بالتفصيل والتمييز فالاطلاق   والاجمال دون بيان

قد افسدا هذا الوجود وخبطا الاذهان   والآراء كل زمان

وتلاوة القرآن في تعريفها   باللام قد يعنى بها شيئان

يعنى بها المتلو فهو كلامه   هو غير مخلوق كذي الاكوان

ويراد افعال العباد كصوتهم   واداتهم وكلاهما خلقان

هذا الذي نصت عليه ائمة الاسلام   اهل العلم والعرفان

وهو الذي قصد البخاري الرضا   لكن تقاصر قاصرو الاذهان

عن فهمه كتقاصر الافهام عن   قول الامام الاعظم الشيباني

في اللفظ لما ان نفى الضدين عنه   واهتدى للنفي ذو عرفان

فاللفظ يصلح مصدراً هو فعلنا   كتلفظ بتلاوة القرآن

وكذاك يصلح نفس ملفوظ به   وهو القرآن فذان محتملان

فلذاك انكر احمد الاطلاق في   نفي واثبات بلا فرقان

الوجه الرابع مما يقدح في ابن حزم استحلاله لما حرمه الله ورسوله من الغناء والمعازف ومخالفته لاجماع من يعتد باجماعهم

من سلف الامة وائمتها. وقد استوفيت الرد عليه في (فصل الخطاب . في الرد على ابي تراب)

وقد قال الامام احمد رحمه الله تعالى حدثنا اسحاق بن عيسى الطباع قال سألت مالك بن انس عما يترخص فيه اهل المدينة من الغناء فقال انما يفعله عندنا الفساق ، قال الحافظ ابن رجب وكذا قال ابراهيم بن المنذر الحزامي وهو من علماء اهل المدينة المعتبرين انتهى .

وقال الحافظ ابو الفرج ابن الجوزي حدثنا هبة الله بن احمد الحريري عن ابي الطيب طاهر بن عبدالله الطبري قال قال الشافعي الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته قال وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته ثم غلظ القول فيه وقال هو دياثة ، قال ابن الجوزي وانما جعل صاحبها سفيها فاسقا لانه دعا الناس الى الباطل ومن دعا الى الباطل كان سفيها فاسقا.

قال وقد نص الشافعي في كتاب ادب القضاء على ان الرجل اذا داوم على سماع الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته انتهى

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى مذهب ابي حنيفة في ذلك

من اشد المذاهب وقوله فيه اغلظ الاقوال وقد صرح اصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها كالمزمار والدف حتى الضرب بالقضيب وصرحوا بانه معصية يوجب الفسق وترد به الشهادة انتهى

وذكر ابن رجب عن الاوزاعي انه كان يعد قول من يرخص في الغناء من اهل المدينة من زلات العلماء التي يؤمر باجتنابها وينهى عن الاقتداء بها انتهى .

وقال ابو العباس القرطبي اما المزامير والاوتار والكوبة فلا يختلف في تحريم سماعها ولم اسمع عن احد ممن يعتبر قوله من السلف وأئمة الخلف من يبيح ذلك وكيف لا يحرم وهو شعار اهل الخمور والفسوق ومهيج الشهوات والفساد والمجون وما كان كذلك لم يشك في تحريمه ولا في تفسيق فاعله وتأثيمه انتهى

وروى الحافظ ابو الفرج ابن الجوزي عن ابي عبد الله بن بطة العكبري انه قال سألني سائل عن استماع الغناء فنهيته عن ذلك واعلمته انه مما انكره العلماء واستحسنه السفهاء انتهى

وقال ابو عبدالله محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه اعتقاد التوحيد. ونقول ان المستمع الى الغناء والملاهي فان ذلك كما قال عليه الصلاة والسلام (ينبت النفاق في القلب) وان لم

يكفر فهو فسق لامحالة انتهى وقد نقله عنه شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في الرسالة الحموية .

وابلغ مما ذكرنا ههنا من اقوال العلماء في تفسيق المغنين ومن يستمع الى الغناء مانقله صاحب الفروع عن القاضي عياض انه ذكر الاجماع على كفر مستحل الغناء كما ذكر الاجماع على كفر من قال بان القرآن مخلوق .

الوجه الخامس مما يقدح في ابن حزم رده لبعض الاحاديث الصحيحة التي تخالف رأيه وحكمه عليها بالوضع بدون مستند صحيح . ومن ذلك رده لما رواه البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن غنم الاشعري رضي الله عنه قال حدثني ابو عامر او ابو مالك الاشعري رضي الله عنه والله ما كذبني سمع النبي ﷺ يقول (ليكونن من امتي اقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف)

قال ابن حجر الهيتمي ان ابن حزم حمله تعصبه لمذهبه الفاسد الباطل في اباحة الاوتار وغيرها الى حكم على هذا الحديث وكل ماورد في الملاهي بالوضع وقد كذب في ذلك وافترى على الله وعلى نبيه و شريعته . كيف وقد صرح

الائمة الحفاظ بتصحيح كثير من الاحاديث الواردة في ذلك. ولقد قال بعض الائمة الحفاظ ان ابن حزم انما صرح بذلك تقريراً لمذهبه الفاسد في اباحة الملاهي وان تعصبه لمذهبه الباطل اوقعه في المجازفة والاشتهار حتى حكم على الاحاديث الصحيحة من غير شك ولا مرية بانها موضوعة وقد كذب وافترى . ومن ثم قال الائمة في الحط عليه ان له مجازفات كثيرة واموراً شنيعة نشأت من غلطه وجموده على تلك الظواهر . ومن ثم قال المحققون انه لايقام له وزن ولاينظر لكلامه ولا يعول على خلافه فانه ليس مراعيا للادلة بل لمارآه هواه وغلب عليه من عدم تحريه وتقواه انتهى .

وهذا الكلام من ابن حجر الهيتمي في ابن حزم يضاف الى ماتقدم ذكره من اقوال العلماء فيه وبذلك يرد على من زعم انه لم يقدح فيه سوى اثنين من المتأخرين .

الوجه السادس ممايعاب به ابن حزم انه كان يهجم على القول في التعديل والتجريح وتبيين اسماء الرواة فيقع له من ذلك اوهام شنيعة قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان . قال وقد تتبع كثيراً منها الحافظ قطب الدين الحلبي

ثم المصري من المحلى خاصة. وذكر الحافظ ايضا عن الحميدي انه قال قد تتبع اغلاطه في الاستدلال والنظر عبد الحق بن عبدالله الانصاري في كتاب سماه الرد على المحلى .

ثم قال الحافظ ابن حجر (ذكر نبذة من اغلاطه في وصف الرواة) .

قال في الكلام على حديث (لاصلاة بعد طلوع الفجر الا ركعتي الفجر) الرواية في هذا الباب ساقطة مطروحة مكذوبة . فذكر منها طريق يسار مولى ابن عمر عن كعب بن مرة . قال ويسار مجهول مدلس وكعب لايدرى من هو . قال القطب يسار قال ابو زرعة مدني ثقة .

وقال ابن حزم في حديث عائشة رضي الله عنها قلت يارسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت قال (اصبت ياعائشة) انفرد به العلاء بن زهير وهو مجهول. قال القطب اخرج الحديث النسائي والدار قطني وروى عن العلاء وكيع وابو نعيم والفريابي وغيرهم وقال ابن معين ثقة .

قال ابن حزم حديث ام سلمة كنت البس اوضاحا من ذهب. الحديث. عتاب مجهول. قال القطب اخرج الحديث

ابو داود عن محمد بن عيسى بن الطباع عن عتاب وهو ابن بشير عن ثابت ابن عجلان عن عطاء عنها . وعتاب هو ابن بشير الجزري روى عنه اسحاق بن راهويه ومحمد بن سلام البيكندي وغيرهما واخرج له البخاري . واخرج الحديث المذكور الحاكم في المستدرك وقال ابن معين ثقة .

قال ابن حزم في الحديث الذي اخرجه النسائي من طريق المرقع بن صيفي عن جده رباح بن الربيع كنا مع رسول الله ﷺ فقال لرجل (ادرك خالدا فقل له لاتقتل ذرية و لاعسيفا) المرقع مجهول . قال القطب روى عنه ولده عمر ويحي بن سعيد الانصاري ويونس بن ابي اسحاق وابو الزناد وموسى بن عقبة وذكره ابن حبان في الثقات فليس بمجهول. وله من ذلك شيء كثير انتهى .

قلت وقد ذكرت في (فصل الخطاب في الرد على ابي تراب) جملة من اغلاطه في وصف الرواة الذين رووا مايخالف مذهبه الباطل في استحلال الغناء والمعازف فلتراجع هناك

الوجه السابع مما يعاب به ابن حزم استحلاله لعشق المرأة الاجنبية . قال ابن القيم رحمه الله تعالى في روضة المحبين

وذهب ابو محمد ابن حزم الى جواز العشق للاجنبية من غير ريبة واخطأ في ذلك خطأ ظاهرا فان ذريعة العشق اعظم من ذريعة النظر . واذا كان الشرع قد حرم النظر لما يؤدي اليه من المفاسد فكيف يجوز تعاطي عشق الرجل لمن لا تحل له .

وقال ايضا في روضة المحبين واما قصة محمد بن داود الاصبهاني فغايتها ان تكون من سعيه المعفو المغفور لا من عمله المشكور وسلط الناس بذلك على عرضه والله يغفر لنا وله فانه تعرض بالنظر الى السقم الذي صار به صاحب فراش وهذا لو كان ممن يباح له لكان نقصاً وعيباً فكيف من صبي اجنبي ارضاه الشيطان بحبه والنظر اليه عن مواصلته اذ لم يطمع في ذلك منه فنال منه ماعرف ان كيده لايتجاوزه وجعله قدوة لمن يأتم به بعده كابي محمد ابن حزم الظاهري وغيره . وكيد الشيطان ادق من هذا. وأما ابو محمد فانه على قدر يبسه وقسوته في التمسك بالظاهر والغائه للمعاني والمناسبات والحكم والعلل الشرعية انماع في باب العشق والنظر وسماع الملاهي المحرمة فوسع هذا الباب جداً وضيق باب المناسبات والمعاني والحكم الشرعية جداً وهو من انحرافه في الطرفين .

وقال ايضا في زاد المعاد وعشق الصور انما تبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله تعالى المعرضة عنه المتعوضة بغيره عنه فاذا امتلأ القلب من محبة الله والشوق الى لقائه دفع ذلك عنه مرض عشق الصور انتهى .

الوجه الثامن مما يعاب به ابن حزم توسعه في المنطق والفلسفة قال الحافظ الذهبي في سير اعلام النبلاء في ترجمة ابن حزم وقد مهر اولاً في الادب والاخبار والشعر وفي المنطق واجزاء الفلسفة فاثرت به تأثيراً ليته سلم من ذلك ولقد وقفت له على تأليف يحض فيه على الاعتناء بالمنطق وتقدمه على العلوم فتألمت له فانه راس في علوم الاسلام متبحر في النقل عديم النظير على يبس فيه وفرط ظاهرية في الفروع لا الاصول انتهى .

وقال الذهبي ايضا في تذكرة الحفاظ ان ابن حزم اخذ المنطق عن محمد بن الحسن المذحجي وامعن فيه فبقي فيه قسط من نحلة الحكماء انتهى ومراده بالحكماء الفلاسفة .

وأما قول المتعصب لابن حزم ان لحوم العلماء مسمومة فجوابه من وجوه احدها ان يقال انما هذا في حق المستورين فاما من القى جلباب الحياء وحدث بمعاصيه فلا غيبة له .

وقد روى الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال (كل امتي معافى الا المجاهرين وان من المجاهرة ان يعمل الرجل عملا بالليل ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يافلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه واصبح يكشف ستر الله عليه) . وقال بعض السلف من القى جلباب الحياء فلا غيبة له .

وروى عبد الله ابن الامام احمد في زوائد الزهد عن الحسن البصري انه قال ثلاثة لا غيبة لهم الامام الخائن وصاحب الهوى الذي يدعو الى هواه والفاسق المعلن فسقه .

ونقل حنبل عن الامام احمد رحمه الله تعالى انه قال ليس لمن قارف شيئا من الفواحش حرمة ولا وصلة اذا كان معلنا

وقال الخلال في كتاب المجانبة . ابو عبد الله يهجر اهل المعاصي ومن قارف الاعمال الرديئة او تعدى حديث رسول الله ﷺ واما من سكر او شرب او فعل فعلا من هذه الاشياء المحظورة ثم لم يكاشف بها ولم يلق فيها جلباب الحياء فالكف عن اعراضهم وعن المسلمين والامساك عن اعراضهم وعن المسلمين اسلم. نقله عنه ابن مفلح في الآداب الشرعية .

وقال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في الفتاوى المصرية من اظهر المنكر وجب الانكار عليه وان يهجر ويذم على ذلك فهذا معنى قولهم من القى جلباب الحياء فلا غيبة له بخلاف من كان مستترا بذنبه مستخفيا فان هذا يستر عليه لكن ينصح سرا ويهجره من عرف حاله حتى يتوب ويذكر امره على وجه النصيحة .

وقال الشيخ ايضا من فعل شيئا من المنكرات كالفواحش والخمر والعدوان وغير ذلك فانه يجب الانكار عليه بحسب القدرة فان كان الرجل مستترا بذلك وليس معلنا له انكر عليه سرا وستر عليه الا ان يتعدى ضرره والمتعدى لابد من كف عدوانه. واذا اظهر الرجل المنكرات وجب الانكار عليه علانية ولم يبق له غيبة ووجب ان يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك من هجر وغيره. وينبغي لاهل الخير والدين ان يهجروه ميتا كما هجروه حيا اذا كان في ذلك كف لأمثاله من المجرمين فيتركون تشييع جنازته كما ترك النبي ﷺ الصلاة على غير واحد من اهل الجرائم انتهى باختصار .

وقد ذكرت ههنا وفي فصل الخطاب في الرد على ابي تراب

جملة من المنكرات التي اشاع بها ابن حزم عن نفسه واثبتها في كتابه طوق الحمامة فصار بذلك ممن لاغيبة لهم .

وايضا فان ابن حزم قد قال في القرآن باقوال باطلة وافق فيها الجهمية كما تقدم ذكره. ولا غيبة للجهمية ولا لمن قال بشيء من اقوالهم الباطلة . وقد تقدم عن الحسن البصري رحمه الله تعالى انه قال لاغيبة لصاحب الهوى الذي يدعو الى هواه

الوجه الثاني ان القدح في الشخص بافعاله الذميمة للتحذير من الاغترار به ليس من الغيبة المذمومة وانما هو من النصيحة المأمور بها شرعا. ومن هذا الباب كلام ائمة الجرح والتعديل في المحدثين وبيان ماقيل فيهم لتعرف مراتبهم في الرواية . قال النووي وهذا جائز بل واجب صونا للشريعة انتهى .

الوجه الثالث قد تقدم قول الحافظ ابن حجر ومما يعاب به ابن حزم وقوعه في الائمة الكبار باقبح عبارة واشنع رد . وتقدم ايضا قول ابي العباس ابن العريف الصالح الزاهد ان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان . وتقدم ايضا قول ابن خلكان ان ابن حزم كان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يسلم احد من لسانه. وتقدم ايضا قول ابن كثير ان

ابن حزم كان كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلمه . وتقدم ايضا قول المقري ان ابن حزم قدوصف بالوقوع في السلف. وسيأتي انشاء الله تعالى قول الذهبي ان ابن حزم بسط لسانه وقلمه ولم يتأدب مع الائمة في الخطاب بل فحج العبارة وسب وجدع. وقوله ايضا وقد امتحن لتطويل لسانه في العلماء. ويأتي ايضا ماذكره شيخ الاسلام ابن تيمية من وقيعة ابن حزم في الاكابر

واذا علم هذا فنقول هلا انكر المتعصب على امامه ابن حزم وقوعه في الائمة الكبار وبسط لسانه وقلمه فيهم بغير حق. ام انه يرى ان لحوم الائمة الكبار حلال لابن حزم وان كان كلامه فيهم بغير حق. ويرى ان لحم ابن حزم حرام على الناس ومسموم وان كان كلامهم فيه بحق ومن باب النصيحة المأمور بها شرعا . اللهم انا نعوذ بك من غلبة الهوى ومن عمى البصيرة. وانه لينطبق على المتعصب المثل السائر (يرى القذاة في عين اخيه ولا يرى الجذع المعترض في عينه)

وأما مازعمه المتعصب لابن حزم من اتفاق الائمة على ان ابن حزم دين ورع .

فجوابه من وجوه احدها ان يقال مازعمه من وجود

الاتفاق ههنا ليس بصحيح اذلاوجود لهذا الاتفاق الذي ذكره

الوجه الثاني قدذكرنا مايعارض هذا الاتفاق المزعوم وهو ماذكره مؤرخ الاندلس ابو مروان ابن حيان من اجماع فقهاء عصر ابن حزم على تضليله والتشنيع عليه . وذكرنا ايضا قدح ابي بكر ابن العربي وابن العريف وابن خلكان وابن القيم وابن كثير والمقري وابن حجر الهيتمي في ابن حزم. ومن المقرر عند الاصوليين ان الجرح مقدم على التعديل

الوجه الثالث ان ما ذكره ابن حزم عن نفسه في كتابه طوق الحمامة يناقض الاتفاق الذي زعمه المتعصب له. وكفى بكلام الرجل شاهد عدل عليه .

الوجه الرابع ان يقال لوكان ابن حزم ذا ورع لما وقع في الائمة الكبار وبسط لسانه وقلمه فيهم وسب وجدع .

واما قول المتعصب وقد تورعوا عما لم يتورع منه .

فجوابه ان اقول اني لم آت شيئا يخالف الورع لاني لم اقل في ابن حزم شيئا من عندنفسي وانما نقلت كلام العلماء فيه وماشاع به عن نفسه في كتابه طوق الحمامة وما قرره فيه من صفة الصالح والفاسق فان كان في ذلك شيء يخالف الورع فابن

حزم اولى بذلك من غيره لانـه هو الذي جرح نفسه بنفسه وبعده الذين اجمعوا على تضليله والتشنيع عليه. وكذلك من بعدهم من اكابر العلماء الذين تكلموا فيه . فما بال المتعصب يتعامى عنهم ويتحامل على المعاصر. فالمتعصب هـو الذي اعتدى في الحقيقة ولم يتورع .

واما قوله وعرفوا فضل ابن حزم

فجوابه ان يقال انهم لم يخلصوا الثناء على ابن حزم بل ذكروا بجانب الثناء عليه مايعيبه كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى

واما قوله فهذا الذهبي يقول فيه دين وخير (سـير اعلام النبلاء ص ٢٤)

فجوابـه ان نقول اولاً كان ينبغي للمتعصب ان يبين ان صفحة ٢٤ التي نقل منها مانقل كانت من ترجمة ابن حزم التي افردت من سير اعلام النبلاء. فاما الاشارة الى الصفحة مع الاطلاق فترجع الى الجزء الاول من سير اعـلام النبلاء وهي في ترجمة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وبينها وبين ترجمة ابن حزم اجزاء كثيرة .

ونقول ثانيا من الامانـة ان ينقل المتعصب جميـع كلام

الذهبي في ابن حزم حتى يعرف ماله وماعليه ولا يقتصر على كلمتين يوهم بهما ان الذهبي قد اخلص الثناء على ابن حزم ولم يتكلم فيه بمايعيبه. وقد تقدم في الوجه السادس مانقلناه من كلام الذهبي في ابن حزم وهو في سير اعلام النبلاء. وقال فيه ايضاً ان ابن حزم بسط لسانه وقلمه ولم يتأدب مع الائمة في الخطاب بل فحج العبارة وسب وجدع فكان جزاؤه من جنس فعله بحيث انه اعرض عن تصانيفه جماعة من الائمة وهجروها ونفروا منها واحرقت في وقت. واعتنى بها آخرون من العلماء وفتشوها انتقاداً واستفادة واخذاً ومؤاخذة ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجا في الرصف بالخرز المهين فتارة يطربون ومرة يعجبون ومن تفرده يهزءون. وفي الجملة فالكمال عزيز وكل احد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله ﷺ . وكان ينهض بعلوم جمة ويجيد النقل ويحسن النظم والنثر وفيـه دين وخير ومقاصده جميلة ومصنفاته مفيدة وقد زهـد في الرياسة ولزم منزله مكبا على العلم فلا نغلو فيه ولا نجفو عنه وقد اثنى عليه قبلنا الكبار .

وقال ايضا في سير اعلام النبلاء . وقد امتحن لتطويل

لسانه في العلماء وشرد عن وطنه وجرت له امور – الى ان قال – قال ابو العباس ابن العريف كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين .

قال الذهبي ولي انا ميل الى ابي محمد لمحبته في الحديث الصحيح ومعرفته به وان كنت لااوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل والمسائل البشعة في الاصول والفروع واقطع بخطئه في غير ما مسألة ولكن لا اكفره ولا اضلله وارجو له العفو والمسامحة وللمسلمين واخضع لفرط ذكائه وسعة علومه انتهى

واذا علم هذا فلست اسلب الدين والخير عن ابن حزم كما قد يفهم ذلك من كلام المتعصب له بل اقول فيه دين وخير وفيه مع ذلك مايعيبه ويقدح فيه ولست اغلو فيه كما فعل ابو تراب وصاحبه ابن عقيل. ولست اجفو عنه كما فعل الذين اجمعوا على تضليله. وقد سبق ان قلت في (فصل الخطاب) مانصه

(وحاصل القول في ابي محمد ابن حزم انه كغيره من العلماء الذين جمعوا في كتبهم اشياء حسنة واشياء سيئة فيؤخذ من اقوالهم ماوافق الحق ويرد ماخالفه ولا يثنى عليهم الا بما يستحقونه من غير اطراء ولا مجازفة. والله المسؤل ان يتقبل

منا ومنهم الحسنات ويتجاوز عن السيئات انه جواد كريم) انتهى

فكلامي في حق ابن حزم قريب من كلام الذهبي فيه ومع هذا فقد تحامل المتعصب على المعاصر ورماه بالتجانف بغيا وعدوانا وتعامى عن المتقدم كانه لم يقل شيئا في حق ابن حزم

واما قوله واذا كان هذا لايثق بعلم ابي محمد بالاضافة الى القدح في عدالته فلا نعبأ بتجانفه .

فجوابه ان اقول أما علم ابن حزم فاني اثق ببعضه وهو ماوافق فيه الحق واحمده على ذلك وادعو له وقد نقلت في بعض مؤلفاتي جملا من جيد كلامه. وأما البعض الآخر وهو ماخالف فيه الحق فهذا لااثق به ولاسيما تأويله لآيات الصفات واحاديث الصفات وماوافق فيه الجهمية والمعتزلة والفلاسفة من الاقوال الباطلة. وكذلك حثه على الاعتناء بالمنطق وتقديمه على العلوم. وكذلك قوله بجواز عشق المرأة الاجنبية والنظر اليها والى الامرد. وكذلك قوله بجواز ماحرمه الله ورسوله واجمع العلماء على تحريمه من الغناء والمعازف. وكذلك يبسه وقسوته في التمسك بالظاهر والغائه للمعاني والمناسبات والحكم والعلل الشرعية. وكذلك اوهامه في الجرح والتعديل ورده

لبعض الاحاديث الصحيحة التي تخالف رأيه. الى غير ذلك من اقواله المنحرفة عن الحق. فهذا لااثق بهولا اوافقهعليه. ولست بحمد الله ممن اصمهم التقليد واعماهم فانساقوا خلف ابن حزم انسياق البهائم خلف الناعق لهاوقبلوا كل مافي كتبه من غث وسمين ولم يميزوا بين الجيدمن كلامهوبين الرديءمنه

واذا علم هذا فمن زعم ان رد الاقوال الباطلة وعدم الثقة بها والقدح فيمن يسوغ القدح فيهمن التجانف فهو المتجانف للاثم على الحقيقة . واذا كان المتعصب لابن حزم يوافقه على ماخالف فيه الحق ويثق به فيه فذلك من التجانف للاثم ايضاً

وأما مانقله المتعصب عن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى انهقال في حق ابن حزم (لهمن الايمان والدين والعلوم الواسعة الكثيرة مالا يدفعه الا مكابر. ويوجد في كتبه من كثرة لاطلاع على الاقوال والمعرفة بالاحوال والتعظيم لدعائم الاسلام ولجانب الرسالة مالا يجتمع مثله لغيره)

فجوابه ان يقال من الامانة ان ينقل المتعصب جميع كلام شيخ الاسلام في حق ابن حزم حتى يعرف مافيهمن المدح ومافيه من الذم ولا يقتصر على جملة منه يوهم بها ان الشيخ

قد اخلص الثناء على ابن حزم ولم يتكلم فيه بما يعيبه. وانا انقل ههنا جميع كلام الشيخ ليعرف القراء ان المتعصب لابن حزم لم يؤد الامانة فيما نقله عن الشيخ .

قال الشيخ رحمه الله تعالى في صفحة ١٧ و ١٨ من نقض المنطق مانصه (وكذلك ابو محمد ابن حزم فيما صنفه من الملل والنحل انما يستحمد بموافقة السنة والحديث مثل ما ذكره في مسائل القدر والارجاء ونحو ذلك بخلاف ماانفرد به من قوله في التفضيل بين الصحابة. وكذلك ماذكره في باب الصفات فانه يستحمد فيه بموافقة اهل السنة والحديث لكونه يثبت الاحاديث الصحيحة ويعظم السلف وائمة الحديث ويقول انه موافق للامام احمد في مسألة القرآن وغيرها ولاريب انه موافق له ولهم في بعض ذلك لكن الاشعري ونحوه اعظم موافقة للامام احمد بن حنبل ومن قبله من الائمة في القرآن والصفات وان كان ابو محمد ابن حزم في مسائل الايمان والقدر اقوم من غيره واعلم بالحديث واكثر تعظيما لهولاهله من غيره لكن قد خالط من اقوال الفلاسفة والمعتزلة في مسائل الصفات ماصرفه عن موافقة اهل الحديث في معاني مذهبهم في ذلك

فوافق هولآء في اللفظ وهولآء في المعنى وبمثل هذا صار يذمه من يذمه من الفقهاء والمتكلمين وعلماء الحديث باتباعه لظاهر لا باطن له كما نفى المعاني في الامر والنهي والاشتقاق وكما نفى خرق العادات ونحوه من عبادات القلوب مضموما الى ما في كلامه من الوقيعة في الاكابر والاسراف في نفي المعاني ودعوى متابعة الظواهر وان كان له من الايمان والدين والعلوم الواسعة الكثيرة مالا يدفعه الا مكابر ويوجد في كتبه من كثرة الاطلاع على الاقوال والمعرفة بالاحوال والتعظيم لدعائم الاسلام ولجانب الرسالة مالا يجتمع مثله لغيره. فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الترجيح . وله من التمييز بين الصحيح والضعيف والمعرفة باقوال السلف مالا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء انتهى .

وقد اشتمل كلامه على الذم في امور كثيرة والمدح في امور اخرى كما لايخفى على طالب علم. وصيغة وان كان له من الايمان الى آخر العبارة تدل على انه قد سبقها شيء من الذم وقد حذف المتعصب لابن حزم لفظة (وان كان) كما حذف ماقبلها ليوهم من لاعلم عنده ان شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه

الله تعالى قد اخلص الثناء على ابن حزم ولم يجمع بين ذمه ومدحه وهذا من التصرف السيء .

واما قوله والحقيقة ان اعراض المسلمين امواتا كاعراضهم احياء .

فقد تقدم الجواب عنه عند قوله ان لحوم العلماء مسمومة فليراجع .

وأما قوله ان سلفنا الصالح ارحب منا صدرا واكثر تسامحا .

فجوابه ان يقال انما كان تسامحهم في الامور الجائزة فاما الامور المحرمة مثل النظر الى المرأة الاجنبية وطلب الوصال منها والسعي في ذلك بابلغ السعي والتعرض للدنو منها والاستماع الى غنائها وضربها بالعود والحضور عند النياحة والنظر الى الامرد الحسن الوجه والتشبيب به وتقبيل المرأة الاجنبية والخلوة بها وبالخمر فحاشا وكلا ان تنشرح لها صدورهم ويتسامحوا بها

وقد روى الامام احمد وابو داود الطيالسي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه قال خطبت امرأة فجعلت اتخبأ لها حتى نظرت اليها في نخل لها

فقيل له اتفعل هـذا وانت صاحب رسول الله ﷺ فقـال سمعت رسول الله ﷺ يقول (اذا ألقى الله في قلب امرىء خطبة امرأة فلا باس ان ينظر اليها) ورواه الحاكم في مستدركه من حديث سهل بن ابي حثمة قال كنت جالسا مع محمد بن مسلمة فمرت ابنة الضحاك بن خليفة فجعل يطاردها ببصره فقلت سبحان الله تفعل هذا وانت صاحب رسول الله ﷺ فقال اني سمعت رسول الله ﷺ يقول. فذكره. فلم يتسامحوا لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه لما نظر الى المرأة الاجنبية ولم تنشرح صدورهم لذلك بـل انـكروا عليه وقرنوا الانـكار بالتسبيح مبالغة في التشديد عليه فاخبرهم ان النبي ﷺ قـد رخص للخاطب ان ينظر الى مخطوبته. واذا كان هذا تشديدهم في النظر الى المرأة الاجنبية الذي هو اخف الامور التي اشاع بها ابن حزم عن نفسه فكيف يظن بهم انهم يتسامحون فيما هو اعظم من ذلك مما ذكرناه آنفا وتنشرح له صدورهم. حاشاهم من ذلك. ومن ظن بهم ذلك فقد ظن بهم ظن السوء.

وأما قوله ولابن عباس رحمه الله ولفقهاء المدينة السبعة ولتصابي الشيوخ مايهون به امر هذا التهويل .

فجوابه ان يقال اما مانسبه لابن عباس رضي الله عنهما ولفقهاء المدينة السبعة من التصابي فهو غير صحيح وحاشاهم ان يفعلوا شيئا مما اشاع به امام المتعصب عن نفسه في كتابه طوق الحمامة. ومن ظن بهم ذلك فقد ظن بهم ظن السوء . والذي يظهر من كلام المتعصب ههنا انه لايرى بأسا بماذكرناه عن امامه من المنكرات التي اشاع بها عن نفسه ويرى ان انكارها والقدح بها تهويل يهون امره لتصابي الشيوخ. وهذا في الحقيقة استهانة بما حرمه الله ورسوله ﷺ من النظر المحرم والكلام المحرم والسعي المحرم والاستماع المحرم والحضور المحرم والتقبيل المحرم والخلوة المحرمة. ومعارضة لماجاء عن الله ورسوله ﷺ من الادلة الدالة على المنع من هذه الامور بتصابي الشيوخ. ومن استهان بشيء من الاوامر او النواهي وعارضها بأقوال الشيوخ وافعالهم فذلك دليل على انحرافه وقلة ايمانه

وقد قال الله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بمايصنعون) وروى الامام احمـد والشيخان وابو داود والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مارأيت شيئا اشبه باللمم مما قال

ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال (ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه) وفي رواية لمسلم وابي داود عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه) هذا لفظ مسلم. ولفظ ابي داود (لكل ابن آدم حظه من الزنا قال واليدان تزنيان فزناهما البطش والرجلان تزنيان فزناهما المشي والفم يزني فزناه القبل) وفي رواية له (والاذن زناها الاستماع) وانما كانت هذه الاشياء من الزنا لانها من مقدماته ووسائله والوسائل لها حكم الغايات والمقاصد .

وروى الامام احمد ايضا ومسلم واهل السنن الا ابن ماجه عن جرير رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فامرني ان اصرف بصري) قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وقد رواه الخطابي في معالم السنن باسناده

عن جرير رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال « اطرق بصرك »

قال الخطابي الاطراق ان يقبل ببصره الى صدره والصرف ان يقبل به الى الشق الآخر او الناحية الاخرى .

وقال النووي الفجاءة بضم الفاء وفتح الجيم وبالمد ويقال بفتح الفاء واسكان الجيم والقصر لغتان هي البغتة. ومعنى نظر الفجأة ان يقع بصره على الاجنبية من غير قصد فلا اثم عليه في اول ذلك ويجب عليه ان يصرف بصره في الحال فان صرف في الحال فلا اثم عليه وان استدام النظر اثم لهذا الحديث فانه ﷺ امره بان يصرف بصره مع قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) انتهى .

وروى الامام احمد ايضاً عن علي رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال له (ياعلي لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الآخرة) قال الهيثمي فيه ابن اسحاق وهو مدلس وبقية رجاله ثقات . وقد رواه البزار والطبراني في الاوسط قال الهيثمي ورجال الطبراني ثقات ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه

وروى الامام احمد ايضا وابو داود والترمذي عن بريدة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه (ياعلي لاتتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الآخرة) قال الترمذي حديث حسن غريب .

قال الخطابي النظرة الاولى انما تكون له لا عليه اذا كانت فجأة من غير قصد او تعمد وليس له ان يكرر النظر ثانية ولا له ان يتعمده بدأ كان او عوداً انتهى .

وقال المروذي قلت لابي عبد الله – يعني احمد بن حنبل – رجل تاب وقال لو ضرب ظهري بالسياط مادخلت في معصية غير انه لايدع النظر قال اي توبة هذه قال جرير سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فامرني ان اصرف بصري

وقد تقدم قول شيخ الاسلام ابي العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى ان العلماء اتفقوا على تحريم النظر الى الامرد بشهوة كما اتفقوا على تحريم النظر الى الاجنبية وذوات المحارم بشهوة.

وتقدم ايضاً قوله ان النظر الى وجه الامرد بشهوة كالنظر الى وجه ذوات المحارم والمرأة الاجنبية بالشهوة سواء كانت الشهوة شهوة الوطء او كانت شهوة التلذذ بالنظر كما يتلذذ

بالنظر الى وجه المرأة الاجنبية. واذا كان معلوما لكل احد ان هذا حرام فكذلك النظر الى وجه الامرد باتفاق الائمة .

وتقدم ايضاً قوله ويحرم النظر بشهوة الى النساء والمردان ومن استحله كفر اجماعا انتهى .

وروى البزار من حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة) قال المنذري والهيثمي رواته ثقات. وقد رواه الحافظ الضياء المقدسي في كتاب المختارة وهو مااختاره من الاحاديث الجياد الزائدة على مافي الصحيحين. قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى وهو اعلا مرتبة من تصحيح الحاكم وهو قريب من تصحيح الترمذي وابي حاتم البستي ونحوهما فان الغلط في هذا قليل ليس هو مثل تصحيح الحاكم انتهى .

وروى وكيع بن الجراح باسناد حسن من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال (نهيت عن صوتين فاجرين صوت عند مصيبة خمش وجه وشق جيوب وصوت عند نعمة لعب ولهو ومزامير الشيطان) ورواه

ابو داود الطيالسي في مسنده بنحوه واسناده حسن. ورواه الترمذي بنحوه مختصراً وقال فيه (نهيت عن صوتين احمقين فاجرين) الحديث قال الترمذي هذا حديث حسن. ورواه الحاكم في مستدركه وقال فيه (نهيت عن صوتين احمقين فاجرين) الحديث .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى فانظر الى هذا النهي المؤكد بتسميته صوت الغناء صوتا احمق ولم يقتصر على ذلك حتى وصفه بالفجور ولم يقتصر على ذلك حتى سماه من مزامير الشيطان وقد اقر النبي ﷺ ابابكر الصديق رضي الله عنه على تسمية الغناء مزمور الشيطان في الحديث الصحيح فان لم يستفد التحريم من هذا لم نستفده من نهي ابدا انتهى.

وروى ابو داود في سننه والبخاري في التاريخ الكبير عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة .

وروى الشافعي واحمد في مسنديهما والبخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول (لايخلون رجل بامرأة الا ومعها ذو محرم)

وروى الامام احمد ايضا والترمذي والطبراني والحاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال (ألا لايخلون رجل بامرأة الا كان ثالثهما الشيطان) زاد الحاكم قالها ثلاثا قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب وقد روي من غير وجه عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ . وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وروى الامام احمد ايضاً من حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (لايخلون رجل بامرأة لا تحل له فان ثالثهما الشيطان الا محرم)

وروى الامام احمد ايضاً عن جابر رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها فان ثالثهما الشيطان)

وروى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس بينه وبينها محرم) ورواه ايضاً في الاوسط ولفظه قال (لايدخل رجل على امرأة الا وعندها ذو محرم)

قال الهيثمي فيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات .

وروى الطبراني ايضاً عن ابي امامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال (اياك والخلوة بالنساء والذي نفسي بيده ماخلا رجل بامرأة الا ودخل الشيطان بينهما ولأن يزحم رجل خنزيرا متلطخا بطين او حمأة خير له من ان يزحم منكبه منكب امرأة لاتحل له)

وروى الامام احمد والشيخان والترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال (اياكم والدخول على النساء) فقال رجل من الانصار يارسول الله افرأيت الحمو قال (الحمو الموت)

وقد حكى النووي وابن حجر العسقلاني وغيرهما الاجماع على تحريم الخلوة بالاجنبية .

فهذه بعض الادلة على تحريم المنكرات التي اشاع بها امام المتعصب عن نفسه. فاذا كان المتعصب يرى ان الانكار على امامه والكلام فيه بما اشاع به عن نفسه من المنكرات تهويل يهون امره لتصابي الشيوخ فلازم قوله ان يكون ماذكرنا

ههنا من الادلة الدالة على تحريم تلك المنكرات من التهويل الذي يهون امره لتصابي الشيوخ وهذا عين المحادة لله ولرسوله ﷺ واتباع غير سبيل المؤمنين .

وأما قوله وهذا خير البشر يسمع من كعب بن زهير تغزله في سعاد — الى قوله — فلم ينكر عليه الرسول سنة جرت عليها الشعراء ولم يسد امامه محامل الخير وحسن الظن كما فعلت يبوسة هذا مع الامام الكبير .

فجوابه من وجوه احدها ان يقال ان كعب بن زهير رضي الله عنه انما تغزل بامرأته والتغزل بالحليلة جائز بخلاف التغزل بامرأة اجنبية أو بامرد فانه لايجوز . قال الروياني في البحر هي امرأته وبنت عمه ذكرها في هذه القصيدة لطول غيبته عنها لهروبه من النبي ﷺ انتهى. ونقله عنه الزرقاني في شرح المواهب اللدنية. قال وبه جزم البرهان .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية وقد روي ان رسول الله ﷺ قال له لما قال. بانت سعاد (ومن سعاد) قال زوجتي يارسول الله قال (لم تبن) ولكن لم يصح ذلك وكانه على ذلك توهم ان باسلامه تبين امرأته والظاهر انه انما اراد البينونة

الحسية لا الحكمية والله اعلم انتهى .

الوجه الثاني اذا فرضنا ان كعبا رضي الله عنه تغزل بغير زوجته فهو انما تغزل بامرأة غير معينة وهذا مما يستعمله كثير من الشعراء قديما وحديثا . ومنهم من يتغزل بامرأة يسميها ولا وجود لها وانما هو خيال يقيمه مقام الشيء الموجود . ومنهم من يتغزل طيف المنام يقيمه مقام الحقيقة . وعلى هذا فسعاد ان لم تكن زوجة لكعب فهي امرأة غير معينة . وقد اشار البيهقي الى هذا حيث قال في سننه (باب من شبب بامرأة لم تسم او بمن تحل) ثم ساق قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه .

وقال الشيخ ابراهيم الباجوري في الاسعاد على بانت سعاد . فان قيل كيف ساغ له ان يتغزل بامرأة في قصيدة انشدها بين يدي النبي ﷺ مع ان التغزل ممتنع . اجيب بانه جرى في ذلك على عادة العرب في اشعارها من ابتدائها بالتغزل والتشبيب مع قرب عهده بالاسلام وقد نص العلماء رحمهم الله على انه انما يمتنع التغزل اذا كان بشخص معين رجلا كان او امرأة اجنبية بخلاف ما اذا كان بغير معين او بحليلته فانه لا يمتنع ويدل على جوازه سماع النبي ﷺ واقراره عليه فيحتمل انه لم يقصد

بذلك امرأة معينة لما جرت به عادة غالب الشعراء من انهم يفتتحون قصائدهم بالتغزل في محبوب غير معين وان لم يكن حب بالكلية يقصدون بذلك تمليح الكلام وتحسينه لان طباعهم تميل الى العشق والتغزل فيه . ويحتمل انه قصد امرأة معينة كانت حليلته وبانت عنه فتغزل فيها فقد قال في شرح المواهب قال الروياني في البحر هي امرأته طالت غيبته عنها لهروبه من النبي ﷺ فذكرها في هذه القصيدة لذلك وبه جزم البرهان . على ان محبتهم كانت غير مفضية الى القبيح ـ الى ان قال ـ لكن قد يبعد احتمال كونها زوجته السياق الآتي حيث وصفها باخلاف الوعد والتلون الى غير ذلك انتهى .

قلت ما وصفها به من اخلاف الوعد والتلون وغير ذلك لا ينافي كونها زوجته لان بعض النساء اذا علمت من زوجها انه يحبها حباً شديدا جعلت تتجنى عليه كما تتجنى المعشوقة على العاشق وتعامله باكثر مما ذكره كعب عن سعاد . ويحتمل ان تكون سعاد اسما لا مسمى له والله اعلم .

الوجه الثالث اذا فرضنا ان كعبا رضي الله عنه تغزل بامرأة اجنبية معينة فالنبي ﷺ انما اقره تألفا له على الاسلام

وليس كذلك من ولد بين ابوين مسلمين وفي بلاد اسلامية ونشأ في الاسلام من اول عمره فمثل هذا لايعذر كما يعذر من كان حديث عهد بالاسلام .

الوجه الرابع ان قصيدة كعب رضي الله عنه مشتملة على مدح النبي ﷺ ومدح المهاجرين رضي الله عنهم وهذه المصلحة تربو على مفسدة التغزل بالاجنبية لو كانت سعاد اجنبية

وايضاً فان الصحابة رضي الله عنهم كانوا معروفين ببر القلوب والنزاهة والبعد عن كل مايدنس ويشين فلايقاس بهم غيرهم. قال ابن القيم رحمه الله تعالى في اعلام الموقعين .

ومنه تقريرهم على قول الشعر وان تغزل احدهم فيه بمحبوبته وان قال فيه مالو اقر به في غيره لاخذ به كتغزل كعب بن زهير بسعاد وتغزل حسان في شعره وقوله فيه

كأن خبيئة من بيت راس   يكون مزاجها عسل وماء

ثم ذكر وصف الشراب الى ان قال :

ونشربها فتتركنا ملوكا   واسداً لاينهنهنا اللقاء

فاقرهم على قول ذلك وسماعه لعلمه ببر قلوبهم ونزاهتهم وبعدهم عن كل دنس وعيب وان هذا اذا وقع مقدمة بين يدي مايحبه

الله ورسوله من مدح الاسلام واهله وذم الشرك واهله والتحريض على الجهاد والكرم والشجاعة فمفسدته مغمورة جدا في جنب هذه المصلحة . مع مافيه من مصلحة هز النفوس واستمالة اصغائها واقبالها على المقصود بعده . وعلى هذا جرت عادة الشعراء بالتغزل بين يدي الاغراض التي يريدونها بالقصيد انتهى

ومما ذكرنا يعلم انه لامتعلق للمتعصب في تغزل كعب بن زهير رضي الله عنه لان كعبا رضي الله عنه انما تغزل بامرأته اوبامرأة غير معينة. وعلى تقدير كونها معينة فقد كان قريب العهد بالاسلام وقد جعل ذلك مقدمة بين يدي مدح النبي ﷺ ومدح المهاجرين رضي عنهم. واما ابن حزم فانه انما قال بيتين ذكر فيهما انه قبل معشوقته يوما على خطر وانه لايعد من عمره سوى تلك السويعة التي قبلها فيها. وقال ايضاً ثلاثة ابيات ذكر فيها خلوته بالمرأة وبالخمر. وقد تقدم ذكر هذه الابيات الخمسة وليس فيها تغزل نزيه وانما فيها تصريح ليس بالنزيه. وقياس ماذكر فيها على تغزل كعب بن زهير رضي الله عنه من افسد القياس كما لايخفى على من له ادنى علم ومعرفة.

وقال ابن حزم ايضاً اربعة ابيات شبب فيها بالشاب الحسن

الوجه وقد تقدم ذكرها. والتشبيب بالمردان حرام ودنس وعيب فلا يقاس على تغزل كعب بن زهير النزيه البعيد عن الدنس والعيب .

الوجه الخامس اني لم اسد محامل الخير وحسن الظن امام ابن حزم فيما يدخله الاحتمال كما تقدم في الكلام على ابياته التي ذكر فيها انه خلا بالمرأة وبالخمر بخلاف مالا يدخله الاحتمال مما اشاع به عن نفسه من النظر المحرم والكلام المحرم والسعي المحرم والاستماع المحرم والحضور المحرم والتقبيل المحرم والتشبيب بالامرد الحسن الوجه فهذا مما يؤاخذ به على كل حال

الوجه السادس ان المتعصب لابن حزم رماني باليبوسة لما تكلمت في امامه بما اشاع به عن نفسه من المنكرات التي قد قامت الادلة من الكتاب والسنة على تحريمها .

وجوابي له قول الله تعالى (واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم) الآية .

وماذا يقول المتعصب في قول الله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون) . وقول النبي ﷺ لجرير بن عبد الله

رضي الله عنه لما سأله عن نظر الفجأة (اصرف بصرك) . وقوله في الحديث الآخر (لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الآخرة) وقوله ﷺ (العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا) وفي رواية (والفم يزني فزناه القبل) . وقوله ﷺ (صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة) وقوله ﷺ (نهيت عن صوتين احمقين فاجرين مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة) ولعنه ﷺ النائحة والمستمعة. وقوله ﷺ (ما خلا رجل بامرأة الا كان ثالثهما الشيطان) . وما قاله العلماء في تحريم النظر الى المرأة الاجنبية والامرد ولا سيما اذا كان النظر بشهوة فان ذلك حرام بالاتفاق ومن استحله كفر اجماعا. فهذه بعض الادلة على تحريم المنكرات التي اشاع بها امام المتعصب عن نفسه. فاذا كان المتعصب يرى ان الانكار على امامه والكلام فيه بما اشاع به من المنكرات يبوسة فلازم قوله ان تكون الادلة الدالة على تحريم تلك المنكرات من اليبوسة ايضاً. وهذا عين المحادة لله ولرسوله ﷺ واتباع غير سبيل المؤمنين .

واما قول المتعصب ولو اردت احصاء تصابي الشيوخ كعبيد الله بن عتبه من الفقهاء السبعة وعبد الرحمن بن ابي عمار الجشمي ومنذر بن سعيد والباجي وابن العربي وابن عبد البر وابن قيم الجوزية ومئات غيرهم من الائمة لجمعت مجلدات ضخمة وبهذا فلن يبقى امامنا من يوثق بعدالته .

فجوابه من وجهين احدهما ان يقال لم يثبت عن احد من هولآء الذين ذكرهم انه فعل شيئا من المنكرات التي اشاع بها امام المتعصب عن نفسه. وغاية مايذكر عن بعضهم انه كان يتغزل في شعره بـالا تصريح فيه باتيان شيء من المحرمات وهذا لايضر .

الوجه الثاني لو فرضنا ثبوت ماذكر عن هولآء اوغيرهم فليس ذلك بحجة يجب المصير اليها وانما الحجة فيما جاء عن الله تعالى ورسوله ﷺ وما اجمع المسلمون عليه. وقد تقدم ذكر الادلة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ واجماع اهل العلم على تحريم مااشاع به ابن حزم عن نفسه ولاقول لاحد مع ماجاء عن الله تعالى ورسوله ﷺ وما وقع الاجماع عليه

واما قوله لجمعت مجلدات ضخمة

فجوابه ان يقال هذا من التشبع وقد قال النبي ﷺ (المتشبع بمالم يعط كلابس ثوبي زور) ولواراد المتعصب ان يجمع شيئا ثابتا بالاسانيد الصحيحة لماقدر ان يجمع نبذة صغيرة. فاما مايذكره صاحب الاغاني وامثاله من حطاب الليل الذين ينقلون عمن هب ودب فهذا لاعبرة به ولايعتمد عليه .

وأما قوله وبهذا فلن يبقى امامنا من يوثق بعدالته

فجوابه ان يقال هـذا من المجازفـة بل كل المسلمين على العدالة الا من ثبت عنه مايقدح في عدالته .

وأما قوله ان لابي محمد ادلة ايجابية يستمدها من اقوال السلف الصالح. فابو الدرداء رضي الله عنه يقول اجمعوا النفوس بشيء من الباطل ليكون عونا لهـا على الحق . ويقول بعض السلف من لم يحسن يتفتى لم يحسن يتقوى . وفي بعض الاثر اريحوا النفوس فانها تصدأ كما يصدأ الحديد .

فجوابه من وجوه احدها ان يقال ان الادلة التي يعتمد عليها ويحتج بها انما تستمد من الـكتاب والسنة لامن اقوال السلف قال الله تعـالى (اتبعوا ماانزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ماتذكرون)

الوجه الثاني انه يبعد كل البعد ان يامر ابو الدرداء رضي الله عنه باجمام النفوس بالباطل وان يقول ان الباطل يكون عونا على الحق .

يوضح ذلك الوجه الثالث وهو ان الباطل من المنكر والمنكر انما يامر به المنافقون قال الله تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف) وقد كان ابو الدرداء رضي الله عنه من ابعد الناس من النفاق وكان من اجلاء الصحابة واكابر علمائهم فيبعد كل البعد ان يقول بهذا القول الباطل .

الوجه الرابع ان الله تعالى قال (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) والباطل من الاثم والعدوان فمن ظن بابي الدرداء رضي الله عنه انه كان يامر بشيء من الاثم والعدوان فقد ظن به ظن السوء :

الوجه الخامس ان الذي يعين على الحق هو لزوم التقوى وكثرة الالتجاء الى الله تعالى والاستعانة به. واما الباطل فانما يعين على الباطل .

الوجه السادس ان الذي جاء في الاثر اريحوا النفوس فانها

تصدأ كما يصدأ الحديد معناه ان لا يحمل نفسه من الاعمال مالا تطيق فلا يديم الصيام ولا يقوم الليل كله ويترك النوم فتمل نفسه من العبادة وتسأم بل يقوم وينام ويصوم ويفطر فيقوم بحق ربه وحق نفسه وحق اهله . ومن زعم ان معنى الاثر هو العمل بشيء من الباطل فقد حمل الاثر على غير محمله وتأوله على غير مايراد به .

الوجه السابع ان اراحة النفوس وجلاء صدأ القلوب لا يكون بفعل المعاصي وانما يكون بالتوبة الصادقة وكثرة تلاوة القرآن وكثرة الذكر والاستغفار ولزوم الطاعة واجتناب المعصية. ومن زعم ان اراحة النفوس تكون بشيء من الباطل فقد قلب الحقيقة .

يوضح ذلك الوجه الثامن وهو ان النبي ﷺ قال (ان المؤمن اذا اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستعتب صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي قال الله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) رواه الترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه وقال هذا حديث حسن صحيح . فدل هذا الحديث على ان

المعاصي هي السبب في صدأ القلوب . وفيه رد على من زعم ان اراحة النفوس تكون بشيء من الباطل .

الوجه التاسع ان المتعصب انما اورد ههنا عن ابي الدرداء رضي الله عنه وغيره ما اورد ليقيم العذر لامامه فيما استباحه من اطلاق بصره في النظر الى محاسن المرأة الاجنبية وتعرضه للدنو منها وطلب الوصال منها واستماعه لغنائها وضربها بالعود وحضوره عند النياحة واطلاق بصره في النظر الى الشاب الحسن الوجه والتشبيب به فزعم المتعصب ان له في استباحة هذه الامور المحرمة ادلة ايجابية واخطأ في ذلك خطأ ظاهراً فليس له من الادلة ما يتعلق به . بل الادلة قائمة على نقيض قصده . وقد تقدم ذكر بعضها قريبا .

وأما قوله ان قول هـذا الناقد إما ان يكون ابن حزم صادقا وإما الخ مغالطة وتعمية لان ابا محمد قد قطع باب الاحتمال الى آخر ما نقله المتعصب من كلام ابن حزم .

فجوابه ان يقال ما اشاع به ابن حزم عن نفسه من اطلاق بصره في النظر الى محاسن المرأة الاجنبية لا يدخله الاحتمال ابدا وكذلك تعرضه للدنو من المرأة الاجنبية وطلب الوصال

منها واستماعه لغنائها وضربها بالعود وحضوره عند النياحة من غير نكير ونظره الى الامرد الحسن الوجه والتشبيب به وتقبيله لمعشوقته على خطر وخلوته بالمرأة وبالراح . كل ذلك صريح لا يدخله الاحتمال وليس في نقل ذلك عنه مغالطة ولا تعمية كما زعمه المتعصب لابن حزم . وغاية ما يقال ان ابن حزم صرح بخلوته بالمرأة وبالراح في موضع من كتابه طوق الحمامة ثم نفى عن نفسه شرب الراح واتيان الفاحشة في موضع آخر من كتابه المذكور فتعارض اثباته ونفيه . ولو شئنا لقلنا ان الاثبات مقدم على النفي كما هو مقرر عند الاصوليين . ولكننا ننزه ابا محمد عن الخنا وشرب الخمر ونصدقه فيما نفاه عن نفسه لقول الله تعالى في الشعراء (وانهم يقولون ما لا يفعلون) وهو وان كان منزها عندنا من شرب الراح واتيان الفاحشة فهو غير منزه من الكذب فيما صرح انه خلا به . والكذب حرام وقبيح من كل احد وهو من العلماء اقبح واقبح .

واما زعمه ان ما ذكره ابن حزم في كتابه طوق الحمامة فهو من ذكريات صباه .

فجوابه ان يقال اذا كان للرجل صبوة في اول عمره فالواجب عليه ان يستتر بستر الله ولا يشيع ذلك عن نفسه

فيكون من المجاهرين الذين قال فيهم النبي ﷺ (كل امتي معافى الا المجاهرين وان من المجاهرة ان يعمل الرجل عملا بالليل ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يافلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه واصبح يكشف ستر الله عليه) متفق عليه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه.

واما قوله ان النائحة والجواري في بيت والده لما كان وزيرا وابن حزم انذاك شاب انيق لم يتجه للعلم.

فجوابه ان يقال ان ابن حزم قد ولد في سنة اربع وثمانين وثلثمائة وكان اول سماعه قبل الاربعمائة ذكره الحميدي في جذوة المقتبس. فقد تبين من هذا انه قد طلب العلم في اول شبابه. ولو فرضنا ان حضوره للنياحة ومافعله مع الفتاة التي عشقها كان قبل طلبه للعلم فلا ينبغي له ان يذكر معاصيه ويشيعها ويثبتها في كتابه بعد ان صار عالما يقتدى به لانه بذلك يكون من المجاهرين الذين تقدم ذكرهم في حديث ابي هريرة رضي الله عنه.

وأما قوله وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره من كبار الصحابة لم يقدح في عدالتهم مافعلوه قبل الاسلام فما بالك بشاب مسلم تصابى في بيت ثراء ونعمة وحضارة وجواري

وخدم فلما بلغ اشده انسلخ عن كل هذا وزهد في الوزارة واتجه لربه وتضلع في امور دينه.

فجوابه ان يقال قياس مايفعله المسلم في حال شبابه بما يفعله الكافر في حال كفره من افسد القياس لان المسلم مخاطب بامتثال الاوامر واجتناب النواهي من حين يعقل. واما الكافر فانه مطلوب منه الدخول في الاسلام اولاً وبعد دخوله في الاسلام يكون مخاطبا بامتثال الاوامر واجتناب النواهي. والاسلام يجب ما كان قبله من الشرك الذي هو اعظم الذنوب فما دون ذلك من كبائر الاثم وصغائره. واما مايفعله المسلم في حال شبابه او حين كبره من كبائر الاثم فانها لاتكفر عنه الا بالتوبة النصوح وقد يغفرها الله لمن يشاء. واما الصغائر فانها تكفر بالتوبة منها وبالاعمال الصالحة والمصائب والآلام والهموم والغموم والاحزان. والمسلم مأمور بالتستر بستر الله وترك المجاهرة بما فعله من المعاصي كبائرها وصغائرها. ومأمور ايضاً بالتوبة والاستغفار من جميع الذنوب كبائرها وصغائرها. والاصرار على المعاصي من الكبائر لحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال (ويل للمصرين الذين يصرون على مافعلوا وهم يعلمون) رواه الامام احمد باسناد صحيح

والبخاري في الادب المفرد والطبراني. وروى ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال (لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار) وليس كون المسلم في بيت ثراء ونعمة وحضارة ونضارة وجوار وخدم مما يعذر به على التصابي في حال شبابه كما هو ظاهر كلام المتعصب وانما هو مأمور بالتقوى من حين يعقـــل .

وقبل الختام نكرر الدعاء لابي محمد ابن حزم بالعفو والمغفرة ونعترف له بالفضيلة والتقدم في كل ما وافق فيه الحق وما اودعه في مصنفاته من الفوائد الجليلة. ونرجو له المسامحة عن الزلات والهفوات . وقد قيل لكل عاقل هفوة ولـكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة. وقال الشاعر واحسن فيما قال .

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معائبه

ولم اذكر في فصل الخطاب ماذكرته عن ابي محمد ابن حزم عن قصد شيء لا يليق به وانما القصد من ذلك بيان الحق والتحذير من الاغترار بمن اتبع زلات ابي محمد وجعله حجة في استحلال الغناء والمعازف. وهذا آخر ماتيسر ايراده والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين. وسلم تسليما كثيرا ١٣٩١/٦/٢٦هـ

فهرس الرد الجميل

تنبيه وقع في السطر الثالث من صفحة ٤١ مانصه (وقد تقدم في الوجه السادس) وصوابه (الوجه الثامن) فليعلم ذلك